

## ابن جني وجهوده في القراءات الشاذة من خلال كتاب المحتسب في تبیین شواذ القراءات والإيضاح عنها

أ.د. حريزي فايزة\*

اعتمد للنشر في ١٤٣٥/٥/٨هـ

سلم البحث في ١٤٣٥/٤/١٥هـ

ملخص البحث:

يعتبر ابن جني من العلماء الأفاضل الذين كانت لهم صفة الموسوعية في التأليف في مختلف العلوم، ونلمس الجودة في تأليفه في كل علم من العلوم التي ألف فيها سواء في النحو أو الصرف أو اللغة أو القراءات القرآنية، وهذه المكانة العلمية أقرها المتقدمون والمتأخرون له، وهذه المكانة كانت على قدر العطاء الذي جاءت به قريحته وأنتي عليه شيوخه في هذا، ومن بين هذه المؤلفات كتاب المحتسب في تبیین شواذ القراءات الإيضاح عنها، فهو سفر جليل وأثر من أثار العالم ولبنة راسخة في تراث القراءات ومعلما بارزا في العربية ولغتها ومن خلاله تجسدت جهود ابن جني في الشواذ من القراءات بحيث حاول تخريج وتوجيه هذه القراءات التي طالما كان الخطأ مرادف لذكرها، ولكن حاول تصويبها وإيجاد وجه لها في العربية يطمئن إليه وتظهر ثمرة جهده بانتصار لها والدفاع عنها، والاحتجاج لها والرد على أقوال الطاعنين لها، ورد الاعتبار لها بين البحوث اللغوية والتفسيرية والقرآنية في محاولة لتحديد مكانتها بين المصادر الاستشهادية.

**الكلمات المفتاحية:** ابن جني، جهوده، القراءات الشاذة، كتاب المحتسب، تبیین شواذ القراءات والإيضاح عنها.

### Abstract:

The son harvest of good scientists who have had a recipe encyclopedic in authoring in various fields of science, and we see quality-authored in every science of science thousand where both in the way or exchange, language, or readings, and the scientific status of approved applicants and the later to him, and this position was as much as the tender which brought him Qrihth and commend him elderly in this, and among these works book calculated the notion gay readings clarification about, is travel Jalil and the impact of the effects of the world and brick embedded in the heritage readings and a milestone in the Arab and language and which epitomized efforts son reap in Gay readings so tried to graduation and

\* أستاذة جامعية، بقسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة خميس مليانة، الجزائر.

directing these readings as long as the error is synonymous to mention, but tried to be corrected and to find the face in the Arab reassure him and show the fruit of his victory of her and defend, and to protest her reply to the statements of the appellants have, rehabilitation between her research linguistic and interpretive the Quranic in an attempt to determine its position among the sources of martyrdom.

## المقدمة:

يعتبر ابن جني من العلماء الذين تركوا بصمة خالدة في تاريخ التراث العربي اللغوي وكان ابن جني ملما بهذا التراث تقريبا و بجميع فروعه كما سيتبين من خلال سيرته والذي سينعكس على تنوع تأليفه، التي كانت بين اللغة والصوتيات والقرآن والنحو والصرف. وهذا الجهد الذي بين أيدينا والمتمثل في المحتسب والذي تفرد بتأليفه وتألق من خلاله على رغم ما ألف في هذا الميدان.

وتجسدت من خلاله جهوده في القراءات الشاذة وتوجيهها لغوي وكما هو معروف فهي مفصول في عدم قرآنيته إلا أن الآراء والحجج تبقى قائمة حولها كمبحث مهم من هذه المباحث.

## وفي هذا البحث سنتناول:

- سيرة ابن جني كعالم لغوي وعبرية شغلت حيز مهم من التراث العربي والفكر اللغوي

- وجهوده في الشاذ من القراءات التي تجسدت من خلال كتاب المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها، التي كثر التساؤل حول الكيفية التي تجسدت بها جهوده في هذا الميدان من خلال كتابه هذا.

## أولاً: سيرة ابن جني:

١- اسمه ونسبه: هو أبو الفتح عثمان بن جني<sup>١</sup>، الموصلي النحوي<sup>٢</sup>، وكان جني أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي<sup>٣</sup>، وفي شعره ما يؤكد روميّة أصلته فقد قال:

فإن أصبح بلا نسب      فعلمي في الورى نسبي  
على أبي أقول إلى      قدوم سادة نجب

قياصرة إذا نطقوا أرم الدهر و الخطب  
أولاك دعا النبي لهم كفى شرفا دعاء نبي<sup>٤</sup>.

مشيرا في البيت الأخير إلى ما روي، أنّ النبي e لما جاءه جواب كسرى قال: "مزق الله ملكه" ولما جاءه جواب هرقل قال e: "ثبت الله ملكه"<sup>٥</sup>.

قال أبو بكر المصحفي قال لي أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني رحمه الله جني والد عثمان رجل تركي جندي شيم الوجه وحسن الصورة لا علم عنده ولا فهم وأنجب بابنه عثمان، وكان أشقرا أعور في صورته بعض التركية<sup>٦</sup>.

وجني بكسر الجيم وتشديد النون وكسرهما وسكون الياء علم رومي وهو معرب (كنّى) وتكتب بالحروف اللاتينية الممثلة للفظ اليوناني (Gennaius) معناه كريم، نبيل، جيد التفكير، مخلص<sup>٧</sup>.

٢ - مولده: اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها ابن جني فقليل أنه: ولد بالموصل قبل الثلاثين وثلاث مئة وقيل قبل الثلاث مئة<sup>٨</sup>، وهذا مستبعد إلا أنه لم يعمر طويلا حسب ما روي. وقيل أنّ ولادته كانت في بدء العصر العباسي الثاني حين استولى بنو البويه على بغداد سنة (٣٣٤هـ)<sup>٩</sup>، وهذا بعيدا أيضا لأنّ أبا الفتح صحب أبا علي أربعين سنة.

٣ - نشأته العلمية: اتفق المؤرخون أنّ ابن جني نشأ بالموصل، وتلقى مبادئ التعلم فيها وقد أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصللي الشافعي المعروف بالأخفش<sup>١٠</sup>، وإلى جانب هذا أبو علي الفارسي أستاذه العظيم الذي تظهر عظمته في تخريجه لمثل هذه الشخصية اللغوية الملمة بعلوم العربية، بحسها اللغوي وابن جني لم يكن يعرفها أبا علي الفارسي قبل حادثة الاعتراض عليه في مسألة قلب الواو ألفا في النحو، وقال له مقولته: "تزيبت وأنت حصرم"<sup>١١</sup>.

ومن هذه الحادثة ستبدأ ملازمة ابن جني لأستاذه التي دامت أربعين سنة، ويصرح بذلك ابن الأنباري فيقول: "لزمه وصاحبه أربعين سنة"<sup>١٢</sup>.

وهذه المصاحبة مكنّته من التحكم في أصول العربية، ويتفوق فيها على

أقرانه، وهذه المصاحبة قامت على مدى التوافق الموجود بينهما كما يقول الدكتور صالح السامرائي: "كانت في التلميز صفات حبيبته إلى شيخه وفي الشيخ صفات حبيبته إلى التلميز دعتهما إلى التوافق ودوام الألفة الطويلة"<sup>١٣</sup>.

ويمكن القول كذلك أنّ هذا التوافق انعكس على منهج ابن جني في تأليفه ويكون التلميز تابعا لأستاذه حتى وإن كان بشكل نسبي، ولا يمكن الحكم على هذا بالإتباع الكلي لأن لكل مؤلف خصوصية في التأليف وتخريج المسائل اللغوية.

٤ - أخلاقه وسيرته: كان ابن جني رجلاً جدياً، وامراً صدق في قوله وفعله. فلم يؤثر عليه ما أثر على أمثاله من رجال الأدب في عصره، من اللهو والشرب والمجون، وكان عفاً للسان والقلم، ويتجنب الألفاظ المندية للجبين<sup>١٤</sup>، عرف ابن جني بطيب الأخلاق والعفة والإخلاص، وقد ذكر الشريف الرضي في رثائه له ومما قاله فيه:

مضى هيب الأردن يارج ذكره أريج الصبا تنده لعرنين ناشف

وما احتاج مدداً غير برد عفافه ولا عرف طيب غير تلك الأخلاق

ويقول فاضل السامرائي في تعليقه: "ولا أخال الشريف الجرجاني إلا صادقاً في قوله في وصف خلقه أو في وصف صورة مقاربة على أقل"<sup>١٥</sup>.

فقد كان أميناً في التحديث عن شيوخه دقيقاً وفي النقل عنهم، فهو يذكر الأبواب والفصول التي قرأها على شيخه أبي علي أو على غيره، وأحياناً يذكر الأماكن التي قرأ فيها ويذكر أنه نسي اللفظ الذي سمعه، وأنه ينقل المعنى وكان وافيًا لشيوخه ولا سيما أبو علي الفارسي فهو يذكره بالإعجاب والثناء، والحسن، والترحم عليه، وكان متسماً بأخلاق العلماء في البحث لا يستكبر أن يسأل شيخه وأن يكتب له يسأله<sup>١٦</sup>، فقد كتب له يسأله عن مسألة من موصل إلى حلب كما جاء في الخصائص<sup>١٧</sup>.

٥ - وفاته: كانت ببغداد لليلتين بقيتا من صفر سنة (٣٩٢هـ) في خلافة القادر<sup>١٨</sup>. وذهب بعضهم إلى أنه توفي سنة ثلاثة وتسعين وثلاث مئة<sup>١٩</sup>، ويقول ياقوت

الحموي توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة<sup>٢٠</sup>، وقال القفطي: كانت وفاته سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة<sup>٢١</sup>، ويقول الحسن الهنداوي: "هذا أراه بعيداً لأنّ شيخه توفي سنة سبعة وتسعين وثلاث مئة للهجرة، وقد عاش ابن جني بعد شيخه، تصدر مكانه ببغداد للتدريس"<sup>٢٢</sup>. دفن ابن جني بالشوتيزي من مقابر بغداد عند قبر أستاذه أبي علي الفارسي، وهي مقبرة جنيد الحالية وأكثر مدافنها من المتصوفة<sup>٢٣</sup>.

٦ - مكانته العلمية: لقد بلغ أبو الفتح عثمان بن جني مكانة علمية راقية، أقرها المتقدمون والمتأخرون، وهذا ما يراه فاضل صالح السامرائي الذي يقول: "كان مثارة إعجاب بالغ ومن قرأ نصوص المترجمين له فيقول أنّه بلغ مكانة في العربية لم يبلغها أحد سواه"<sup>٢٤</sup>. وكان له الفضل في إثراء علوم العربية بما جادت قريحته فيقول الياخزري: "هذا أبو الفتح عثمان بن جني ليس لأحد من أئمة في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما له ولا سيما في علم الإعراب فقد وقع منها على ثمرة الغراب، ومن وقف على مصنفاته وقف على بعض صفاته"<sup>٢٥</sup>.

ويقر الثعالبي بمرتبة السامية فيقول: "هو القطب في لسان العرب وإليه انتهت الرياسة في الأدب.. وكان الشعر أقلّ خلاله لعظم قدره. وارتفاع حاله"<sup>٢٦</sup>، وأثنى عليه شيخه وأعجب بما صنف و يقول القفطي في ذلك: ووقف أبو علي على تصانيفه واستجاده"<sup>٢٧</sup>.

وبقيت له مكانته السامية على مر العصور، ويرى ياقوت الحموي أنّه: "صنف كتباً أبر بها المتقدمين وأعجب بها المتأخرون"<sup>٢٨</sup>، ويقول محمد علي النجار في (مقدمة الخصائص): "كان المتنبي إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والصرف في الشعر يقول: سلوا صاحبنا أبا الفتح، ويواصل علي النجار في هذا بقوله: "كان المتنبي إذا سئل عن معنى قاله أو توجيه إعراب حصل فيه إغراب دلّ عليه، وقال: عليكم بالشيخ الأعور ابن جني فسلوه، فإنّه يقول ما أردت وما لم أرد"<sup>٢٩</sup>.

وكان المتنبي يقول: "ابن جني أعرف بشعري مني"<sup>٣٠</sup>، وجاء في دائرة المعارف الإسلامية: "يعتبر ابن جني أكثر الثقات علماً بالتصريف"<sup>٣١</sup>، ويقول محمد

علي النجار: "بلغ أبو الفتح من علوم العربية من الجلالة ما لم يبلغه إلا القليل" ويقول كذلك: "وهو يعد بحق فيلسوف العربية وياقرأها"<sup>٣٢</sup>.

#### ٧ - دراساته:

\* **في اللغة:** اشتهر بدراساته اللغوية المستفيضة حتى عرف أنه لغوي أكثر منه نحوي خاصة في كتابيه (الخصائص) و(سر صناعة الإعراب)، وإن المتصفح لهما يجد دراساته في اللغة عميقة مستفيضة تتم عن سعة إطلاعه والرسوخ في هذا الباب<sup>٣٣</sup>. وتكلم في اللغة وقال في حدها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>٣٤</sup>، وتعرض لنظريات نشوء اللغة، وذكر أن فريقا قال: "إنها وحي وتوقيف من عند الله وذكر أن شيخه أبو علي كان يذهب مذهبه". وتكلم كذلك في الاشتقاق الأكبر في اللغة<sup>٣٥</sup>.

\* **في الأصوات:** كانت له بصمات قوية في مجال علم الأصوات وبحث غزير في دراسة الأصوات ومن يتصفح بصورة واضحة كتاب (سر صناعة الإعراب) الذي محضه لدراسة أحكام أصوات العربية، وهو كتاب صوتي بحق، وتضمن مباحث صوتية متنوعة من ناحية العضوية والوظيفية ولقد تتبع مخارج الحروف ورتبها ونظمها<sup>٣٦</sup>، فقسمها حسب مدا رجها الصوتية تقسيما يختلف عن تقسيم (العين)، وذكر أن التقسيم المذكور في (العين) غير دقيق ودرسها دراسة مستفيضة<sup>٣٨</sup>. حتى قال بعد الكلام في مخارج الحروف: "وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشعبه هذا الإشباع"<sup>٣٩</sup>.

\* **في التصريف والنحو:** ذكر أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبان. والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق وقد اشتهر ابن جني بالتصريف اشتهارا بالغا<sup>٤٠</sup>. درس كذلك النحو وعرف به، فكان يترجم بابن جني النحوي، وكان من أعلم أهل الأدب، وقال ابن الأنباري: "وأما أبو الفتح عثمان بن جني النحوي فإنه كان من أحق أهل الأدب وأعلمهم بعلم النحو والتصريف"<sup>٤١</sup>.

ويرى فاضل صالح السامرائي: "أنه درس النحو وكتب فيه واشتهر به وعرف به"<sup>٤٢</sup>، كما كانت له دراسات في علوم أخرى. وله مؤلفات عدة تركها وهي كتب حسان ولها أسماء حسان كما ونوعا، وهذا يعكس ثقافته الواسعة في علوم العربية، وخصوصية عقله، وهي تتجاوز الخمسين في شتى علوم العربية، ومن بين هذه التي ذكرها **علي النجار** وغيره: سر صناعة الإعراب، الخصائص، اللمع، كتاب محاسن أهل العربية، والنوادر الممتعة وكتاب المحتسب وغيرها...<sup>٤٣</sup>

**ثانيا: جهوده في القراءات الشاذة من خلال كتاب المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها.**

لقد كان كتاب **المحتسب** على بعض ما فيه من أثر جليل من آثار هذا العالم، ولبنة راسخة في تراث القراءات ومعلما بارزا في نحو العربية وصرفها ولغتها، وهو ما يزال يحتفظ بأهميته على الرغم من الكتب العديدة التي حاولت مجاراته، فهو نسيج وحده، وإمام كتب الاحتجاج للقراءات الشاذة من غير منازع<sup>٤٤</sup>. وهذا الكتاب يضم أحكام توجيهية للقراءات الشاذة ويعتبر كما قال الزركشي: "من أحسن ما وضع فيه، كتاب المحتسب لأبي الفتح، إلا أنه لم يستوف، وأوسع منه كتاب أبي البقاء العكبري"<sup>٤٥</sup>.

وعليه فإن **المحتسب** لابن جني وكتاب (إملاء ما من به الرحمن) لأبي البقاء هما الأحسن، إلا أن الكتاب الأول حامل للقراءات الشاذة والمشهورة (صحيحة)، ولكن **المحتسب** حامل للشاذ، مع كتاب مختصر شواذ القراءات لابن خالوية، وإن كانت توجيهاته قليلة بالمقارنة مع ما وجد في **المحتسب** من توجيهات كثيرة للقراءات الشاذة. كيف لا يكون الكتاب الأحسن بين الكتب التي ألقت في القراءات الشاذة نوعا وكما، وصاحبه لا يختلف في موسوعية شخصيته أحد.

وكتاب **المحتسب** سفر جليل فيه من فوائد العربية وقراءتها ووجوه التخريج، ما يدل على إمامته في العربية، وقدرته على استخدام اللغة وتطويعها، في أسلوب جزل ممتلئ بالتحليل وعمق النظر في التطبيق واستخدام القياس واستلزام

روح العربية ولهجات القبائل المختلفة والدفاع عن الشواذ، ما وجد إلى ذلك سبيلا، دون إسهاب واستطراد أو إغماض. بل هو الاعتدال في كل شيء بخلاف شيخه الفارسي الذي وصف كتابه بالغموض والإطالة في عرض المادة، وليس معنى هذا أن "المحتسب" سهل ميسور لكل الناس خال من البحوث العميقة، وإنما أبا الفتح لم ينجر إلى ما انجر إليه أبو علي من الاستطراد والإغماض في الأسلوب، فتناول ابن جني أعقد المسائل اللغوية خصوصا الصرفية منها. بالبيان المشرق والعبارة المحكية ملتزما ذلك قدر الحاجة ما يحتاج إليه من بيان الآية أو الكلمة المحتج لها، وما فيه من صعوبة فراجع إلى طبيعة الموضوع وعلو أسلوب ابن جني<sup>٤٦</sup>.

وكان تأليف هذا الكتاب في أواخر عمره، حيث يقول: "وان قصرت أفعالنا عن مفروضاتك وصلتها برأفتك بنا، وتلافتنا من سيئات أنفسنا ما امتدت أسباب الحياة لنا، فإذا انقضت علائق مددنا، واستوفى ما في الصحف المحفوظة لديك من عدد أنفاسنا، واستؤنف أحوال الدار الآخرة بنا، فاقبلنا إلى كنز جنتك التي لم تخلق إلا لمن وسع ظل رحمتك"<sup>٤٧</sup>. وهذا ما يدل على أن تأليف هذا الكتاب كان في القرن الثالث الهجري أو أواخر القرن الثالث الهجري، وحتى المادة الغزيرة التي كانت في مضمون هذا الكتاب دليل على أنه زبدة رحلة طويلة مع التأليف والتزود. تجسدت جهوده في هذا الكتاب، من خلال الانتصار للشاذ من القراءات كما يقول أحد الباحثين: "إذا لم يقدّم عليه أحد بتأليف كتاب مستقل يحتج فيه للشواذ من القراءات ويذكرها، وهي فيما يرى جديرة بذلك رواية وإعرابا، وإنما كان من قبله ربما من اعترموا الحرف فقالوا القول المقنع فيه، وإنما ذكره مرويا مجموعا أو متفرقا"<sup>٤٨</sup>.

ولم يشترط في كتابه الإتيان بجميع الشواذ المروية عن السلف بغية توجيهها، وإنما اقتصر من كل ذلك على نوع واحد، ما شذ عن السبعة بما غمض عن ظاهر الصنعة، فقد أدخل في مصنفه الشاذ المرسوم بإثبات الواصفين<sup>٤٩</sup>. وجهوده في هذا الكتاب هي تكملة لما هم به أستاذه الذي كان له رغبة في تأليف كتاب للاحتجاج للشاذ من القراءات بعد وضعه وتأليفه لكتاب في الاحتجاج



## للقرءات السبعة<sup>٥٠</sup>.

وانتصاره للشاذ منبثق من كثرة الطعن الذي سبق تأليف كتابه هذا، أمثال أبي حاتم السجستاني وأبي جعفر النحاس. فهو كان يذكر القراءة ويذكر من قرأ بها ثم يرجع في أمرها إلى اللغة ويذكر من قرأ بها، ثم يرجع أمرها إلى اللغة ويلمس لما شاهدها فيرويه أو نظيراً فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها في قصد أو إجمال أو تفصيل وافتتان على حسب ما يقتضيه المقام، ويطلبه الكشف عن وجه الرأي في القراءة.

ولم يرد أبو الفتح من تأليف هذا الكتاب الطعن على ما تواضعت عليه الجماعة في الأمصار، أو إعادة الاعتبار إلى هذه الشواذ فيجيز القراءة بها ويؤكد هذا بقوله: "لسنا نقول ذلك فسحاً بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءتهم، أو تسويقاً للعدول عما أقرته الثقات عنهم، ولكن غرضنا منه أن نري وجه القوة ما يسمى الآن شاذاً وأنه ضارباً في صحة الرواية بجرانه، أخذ من العربية مهلة ميدانية، وليري أن العدول عنه، إنما هو حط منه أو تهمه له... إلّا أننا وإن لم نقرأ به في التلاوة مخافة الانتشار له، ونتابع من يتسع في القراءة كإجراء رواية ودراية نعتقد قوة هذا المسمى شاذاً"<sup>٥١</sup>.

ويلق الأستاذ محمود أحمد الصغير على هذا يقوله: "أنّ أبا الفتح يسلم بذاته بأنّ القرءات المجتمع عليها هي الأظهر إعراباً وقياساً بشكل عام، ولكنه لا يرض أن تكون الشواذ موضع اتهام واستهجان"<sup>٥٢</sup>. وحتى الآيات القرآنية التي وظفها في الكتاب منتقاة، وهو ما يؤكده أحد الباحثين بقوله: فقد خصه بإخراج الآيات التي حللها العلماء كابن مجاهد (ت ٢٢٤هـ) وأبي حاتم السجستاني وأبي علي الفارسي وغيرهم"<sup>٥٣</sup>، فهو كتب "المحتسب ليوجه بعض القرءات السبعة والشاذة مبرزاً ضبابية المصطلح الأخير، منبهاً على ما في هذا الوصف من غلو في إيهام الناس بركاكته وضعف قواعده، مظهراً رغبته في جعله مادة صالحة للدرس"<sup>٥٤</sup>. وابن جني في المحتسب واحد من الذين احتجوا من خلال هذا المصنف

للقراءات الشاذة، كان يسلك سبيلهم ويحتج للقراءات بقراءة حفص وبالقراءات الأخرى، وبالشعر، والأمثال، ولغات العرب، وأقوالهم، ولكن ما يميزه هو استغلاله للقياس واعتماده على بعض النواحي الشكلية والآثار الثقافية التي نضجت في عهده<sup>٥٥</sup>. واستطاع أبو الفتح أن يؤلف بين هذه الأساليب اللغوية جميعا وبين وجوه الشواذ، كما استطاع أن يمزج الشواذ بأقيسته مزجا محببا، حتى بدت فيه مواد (المحتسب) وحدة لغوية منسجمة يقوي بعضها بعضا.

وتظهر جهوده كذلك من خلال تحليل القراءات الشاذة على وجه التفسير وهذا ما يؤكده الأستاذ محمود أحمد الصغير فيقول: "كان أبو الفتح مولعا في توجيه الشواذ بذكر العلل، في معظم ما يعرض له من تخريجات في أغلب الأحكام، فهو لا ينفك أن يذكر لكل مسألة علتها حتى يكاد (المحتسب) يكون تعليلا وتسويفا"<sup>٥٦</sup>، ففي قراءة الحسن ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾، وذهب إلى أنها على حذف الخبر ثم يعلل هذا بقوله: "وكأنه بالرفع أقوى معنى، وذلك لأنه يستأنف فبرفعه على الابتداء فيصير صاحب الجملة"<sup>٥٧</sup>.

كما اعتمد على القياس كما سبق الذكر في توجيه القراءات الشاذة وإيجاد وجه لها في العربية يطمئن إليه، فقد قاس توجيهاته على الشائع المطرد، وقد رفض القياس على الشاذ<sup>٥٨</sup>. وكان موقفه واضحا كما بيّنه الأستاذ محمود أحمد الصغير بأن: "ابن جني نصب من نفسه مدافعا عن شواذ وحدد القراءات التي يمكن أن تكون ميدانا للبحث، وهذا يعني أنه ينتصر لكل ما أورد من وجوه، لأنه هو حدد مادة الدراسة... وحاول بكل ما أوتي من مقدرة علمية وثقافية وبكل ما أوتي من مكانة لغوية، أن ينتصر للشواذ، واستطاع إلى حد ما أن يعثر لها على الوجوه النحوية المناسبة من القراءات وكلام العرب، إلا أن موقفه لم يكن متماسكا أو موحدا، بل كان مختلفا ومتنوعا، فمرة نجده يستحسنها ويتحمس لها، ومرة يسدل لها على مذهب نحوي، ومرة ينتصر لها بالقراءة المشهورة ومرة حماسة فيفضل القراءة المشهورة عليها أو يصفها بالضعف واللحن والشذوذ ومرة يستهجنها

ويحملها على ضرائر الشعر، ولكن الموقف العام لديه هو قبولها والأخذ بها<sup>٥٩</sup>.

وموقفه كان وفق قسمين: الأول موافق لخطه الكتاب. والثاني مخالف لها.

القسم الأول: (المواقف الموافقة لخطه الكتاب):

\* تفضيل القراءة الشاذة على المشهورة: بحيث يرى أن رفع (كل) في قراءة أبي السمال ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ﴾<sup>٦٠</sup> كل هي أقوى في النصب وقال في هذا: "الرفع أقوى من النصب، وإن كانت الجماعة على النصب، ذلك أنه من مواضع الابتداء.. لأنها جملة وقعت خبراً عن مبتدأ. وفي قولك: نحن كل شيء خلقناه بقدر<sup>٦١</sup>.

\* القراءة الشاذة دليل القراءة المشهورة: أثناء تخريجه العام جعل أبو الفتح بعض الشواذ أدلة على وجوه كثيرة من القراءات المشهورة بحيث ربط الشاذ بالمشهور وتميز هذا الربط بدقة كما سيظهر من الأمثلة الآتية فهو يرى في قراءة ابن عباس وعكرمة ﴿إِنَّمَا ذَاكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ﴾<sup>٦٢</sup>. دلالة على إرادة المفعول الذي فرق في القراءة المشهورة (يُخَوِّفُ) يرى أن في قراءة ابن محيص ﴿آخِرَ دَعْوَاهُمْ أَنِّ الْحَمْدَ لِلَّهِ﴾<sup>٦٣</sup>. دلالة على (أن) في قراءة الجماعة مخففة من (أن)<sup>٦٤</sup>.

\* القراءة الشاذة دليل على منهج نحوي مختلف فيه: هذا ما اكتشفه ابن جني ووجد في هذه الشواذ بعض الدلائل على مذاهب نحوية متنازع فيها، ولكن أغلب هذه الدلائل كان يؤيد مذهب البصريين الذي ينزع إليهم ويذكرهم باسم أصحابه ويستعين بآرائهم<sup>٦٥</sup>. ففي قراءة ابن مجاهد ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنْ... بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾<sup>٦٦</sup>، ويرى ابن جني أن هذه القراءة دليل على أن معنى (أم) المنقطعة بمعنى (بل)<sup>٦٧</sup>. وقد استدلل أيضاً بقراءة ابن مسعود: ﴿وَبَاطِلًا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>٦٨</sup>، على جواز تقديم خبر كان عليها<sup>٦٩</sup>. وقد تكون دليلاً إضافياً إلى جانب الأدلة الأخرى التي تؤيد المذهب النحوي.

\* توجيه عدد من القراءات الشاذة التي أعيت النحاة: تصدى ابن جني لتوجيه عدد من القراءات الشاذة التي عجز النحاة قبله عن تخريجها، فسكتوا عنها أو طعنوا عليها، وكان غالباً ما يذكر لهم هذه المواقف ويعمل عليهم، بل يقسوا على بعضهم

وتتجلى هذه القسوة في ردوده على ابن مجاهد<sup>٧٠</sup>. منها قراءة ابن عمر الثقفي ﴿وَلَنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ﴾<sup>٧١</sup>.

#### القسم الثاني: (المواقف التي تخالف خطة الكتاب):

بحيث وقف ابن جني في كتابه (المحتسب) موقف مختلف كما تعهد منه من انتصار للشواذ، فقد وصف بعضها هنا بوصف لا يتلاءم وموقفه العام والمتصفح للكتاب يجد أن، ابن جني، كانت له مواقف تخالف ما عهد منه من خلال:

\* **تفضيل القراءة العامة:** فقد فضل قراءة الجماعة ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ... أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾<sup>٧٢</sup>، عن غيرها من القراءات الشاذة لهذه الآية.

\* **اتهام بعض بالشواذ رغم اتخاذه مبدأ الانتصار للشاذ من القراءات:** وصف بعض القراءات بالضعف واللحن وكذا الشذوذ وأخرى بالقلّة والقبح، من ذلك: إعمال أن عمل (ما) الثانية في قراءة سعيد بن جبير ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أُمَثَلَكُمْ﴾<sup>٧٣</sup>، فقد وصفها بالضعف لأن (إن) لا تختص اختصاص (ما) فتجري مجرى (ليس) في العمل ويصف قراءة أبي جعفر ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾<sup>٧٤</sup>، يقول إنها ضعيفة ولذلك لا يجوز حذف همزة (اسجدوا) هنا والتاء حركتها على ما قبلها<sup>٧٥</sup>.

\* **حمل على بعض ضرائر الشعر:** ففي قراءة طلحة بن سليمان ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾. برفع الكافين، يقول إنها ضعيفة وبابها الشعر وقال ابن مجاهد: الأمر مردود في العربية وهو لعمري ضعيف في العربية وبابه الشعر والضرورة<sup>٧٦</sup>. ثم خرج القراءة على حذف الفاء على بيت في الكتاب من يفعل الحسنات الله يشكرها \* والشر عند الله مثلان<sup>٧٨</sup>.

\* **الطعن على بعض القراء:** نسب ابن جني الطعن والوهم إلى بعض القراء ففي قراءة مسلمة ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾<sup>٧٩</sup>. ويقول ابن جني هنا (ونعم كان العمل خلسا فظن سكونا)<sup>٨٠</sup>. ويقول السامرائي أنه (من الطاعنين القساة على القراء)<sup>٨١</sup>. ولكن يستدرك هذا الأستاذ محمد أحمد الصغير بقوله (فهو ليس من الطاعنين القساة

على القراء...) <sup>٨٢</sup>. وتوجيه هذا الشاذ أعطى مساهمة وتأكيد لبعض القواعد النحويّة واللغويّة من خلال هذا الكتاب، وما يمكن تأكيده هنا أنّ القراءات الشاذة يمكن اعتبارها كمصدر من مصادر جمع اللغة إلى جانب القراءات المعروفة باعتبارها كانت رافد مساهم في إرساء بعض القواعد اللغويّة.

#### خاتمة:

فجهوده من خلال هذا الكتاب شملت التوجيه والتفسير وإعطاء الحق والإنصاف لما سمي شاذاً ويبقى كتاب **المحتسب** هذا سفر الجليل أهم جهد في القراءات الشاذة، وإن كان قد سبقه ابن خالويه من خلال المختصر وأبو علي الفارسي من خلال كتابه في شواذ القراءات إلا أنّ كتاب (المحتسب) يأخذ الحظوة ويكون له سبق من حيث الكم والنوع فهو كان موسوعة لغوية وقرآنية وتفسيرية وعمل جديد مس ما أهمل وغض عليه البصر من طرف الباحثين وإذا كانت إشارات إليه ولكن لم تبلغ جهد ابن جنيّ فيه، وبالتالي كانت له جهود جبارة في الشاذ من القراءات تجسدت من خلال هذا المصنف.

وهو يعتبر من جهود المهمة في القراءات الشاذة إلا أنّ الدراسات حول هذا الكتاب قليلة سواء من طرف المهتمين بالقراءات أو الباحثين اللغويين وخاصة في هذا العصر إلا الاهتمام الذي أولاه شيخ القراء وخطيب دمشق عبد كريمة رجح وبشهادة تلاميذه أنّه اهتم بهذا الكتاب ووضع حوله دراسات ولكن لم تحظ بالطبع وكذلك بعض الباحثين في السعودية في طور ما بعد التدرج تناولوا التوجيه النحوي في هذا الكتاب حولي بحثيين. لا أكثر ولا أقل هذا من خلال العملية الإحصائية التي قمت بها في إحصاء أعمال التي أنجزت حول هذا الكتاب في الشاذ من القراءات.

#### قائمة المصادر والمراجع:

١. أبو الفتح عثمان بن جنيّ سر صناعة الإعراب تح: حسن الهنداوي، دار العلم، دمشق: ط٣/ ١٩٩٣، ج١، ص: ٨.
٢. جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت: ج٢، ص: ١٣٢.

٣. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت: (د.ط.) / ١٩٩٣، ج ٤، ص: ١٥٨٥.
٤. المصدر نفسه، ص: ١٥٨٦.
٥. فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي، دار الندير، بغداد: (د.ط.) / ١٩٣٩، ص: ٢٣.
٦. المرجع نفسه، ص: ٢٢.
٧. أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص (مقدمة المحقق)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، د.ط./ د.ت، ج ١، ص: ٢.
٨. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، المصدر السابق: ج ٤، ص: ١٥٨٦.
٩. السامرائي، ابن جني النحوي، المرجع السابق، ص: ٢٣.
١٠. ابن جني الخصائص: المصدر السابق، ج ١، ص: ١٠.
١١. المصدر نفسه، ص: ١٥.
١٢. كمال الدين، أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار الزرقاء، ط ٣ / ١٩٨٥، ص: ٤٠٨.
١٣. السامرائي، ابن جني النحوي، المرجع السابق، ص: ٤١.
١٤. السامرائي، المرجع نفسه، ص: ٤١.
١٥. المرجع نفسه، ص: ١٤٢.
١٦. ابن جني، الخصائص، المرجع السابق، ص: ٣٨.
١٧. السامرائي، ابن جني النحوي، المرجع السابق، ص: ٣٨.
١٨. جلال الدين السيوطي، بغية الدعاة، المصدر السابق، ج ٣، ص: ١٣٢.
١٩. علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص: ٢١٥.
٢٠. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، المصدر السابق، ص: ١٥٨٧.
٢١. جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباء الرواة عن أنباء النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: ط ١ / ١٩٨٦، ج ٢، ص: ٣٣٦.
٢٢. ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص: ٢٦.
٢٣. السامرائي، ابن جني النحوي، المرجع السابق، ص: ٢٦.
٢٤. المرجع نفسه، ص: ٢٦.
٢٥. الياقوت، دمية القصر وعصرة أهل العصر، المطبعة العلمية، حلب، د.ط./ د.ت، ص: ٢٩٧.
٢٦. أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ / ١٩٧٣، ج ١، ص: ١٢٤.
٢٧. القفطي، إنباء الرواة عن أنباء النحاة، المرجع السابق، ج ٢، ص: ٣٣٦.

٢٨. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، المصدر السابق، ج ٢، ص: ١٥٣٥.
٢٩. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص: ٤١٠.
٣٠. المرجع نفسه، ج ٢، ص: ٤١١.
٣١. بطرس البستاني، دائرة المعارف، د. ط/ د. ت، مج ٢، ص: ٤٢٠.
٣٢. ابن جنّي الخصائص (مقدمة المحقق)، المصدر السابق، ج ١، ص: ٢٦.
٣٣. السامرائي، ابن جنّي النحوي، المرجع السابق، ص: ١٠٩.
٣٤. ابن جنّي، الخصائص، المصدر السابق، ج ١، ص: ٣٣.
٣٥. السامرائي، ابن جنّي النحوي، المرجع السابق، ص: ١٠٩.
٣٦. المصدر نفسه، ص: ١١١.
٣٧. فوزية سرير عبد الله، سر صناعة الإعراب بين النحو والصوتيات الوظيفية دراسة نقدية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، ٢٠١٠، ص: ١٠٩.
٣٨. السامرائي، ابن جنّي النحوي، المرجع السابق، ص: ١١٦.
٣٩. ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ج ١، ص: ٥٦.
٤٠. السامرائي، ابن جنّي النحوي، المرجع السابق، ص: ٤١٨.
٤١. القفطي إنباه الرواة عن أنباء النحاة، المصدر السابق، ج ٢، ص: ٣٣٦.
٤٢. السامرائي، ابن جنّي النحوي، المرجع السابق، ص: ١٢١١.
٤٣. الخصائص، المصدر السابق، ج ١، ص: ٦٠.
٤٤. محمد أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، دار الفكر، دمشق ودار الفكر المعاصر، لبنان، ط ١ / ١٩٩٩، ص: ٢٨٣.
٤٥. البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص: ٣٤.
٤٦. إبراهيم عبد الله رفيق، النحو وكتب التفسير، دار الجماهيرية، ط ٣ / ١٣٩٩، ١٩٩٠، ج ١، ص: ٥١٤. ٥١٥.
٤٧. أبو الفتح عثمان بن جنّي، المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح، محمد عطا عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ / ١٩٩٨، ج ١، ص: ٦٧.
٤٨. النحو وكتب التفسير، ج ١، ص: ٥١٤. ٥١٥.
٤٩. المصدر السابق، صفحة نفسها
٥٠. المحتسب (مقدمة المحقق)، ج ١، ص: ٦٧.
٥١. محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، المرجع السابق، ص: ٤٣.
٥٢. المرجع نفسه، ص: ٩٣.
٥٣. رشيد حليم، أصول النحو عند ابن جنّي (دراسة لسانية في كتابية الخصائص والمحتسب)، دار قرطبة، الجزائر، د. ط / ٢٠١٠، ص: ٢٣.
٥٤. المرجع نفسه، ص: ٤٢.

٥٥. محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص: ٢٠٣.
٥٦. المرجع نفسه، ص: ٢٦٧.
٥٧. المحتسب، المصدر السابق، ج ١، ص: ٢٠٨.
٥٨. المصدر نفسه، ج ١، ص: ٢٣٦.
٥٩. محمود أحمد الصغير، المرجع السابق، ص: ٢٣٥.
٦٠. القمر، الآية: ٤٩.
٦١. المحتسب، المصدر السابق، ج ٢، ص: ٣٤٩.
٦٢. آل عمران، الآية: ١٧٥.
٦٣. يونس، الآية: ١٠.
٦٤. المحتسب، المصدر السابق، ج ١، ص: ٤٢٨.
٦٥. المحتسب، ج ١، ص: ٢٣٠.
٦٦. الطور، الآية: ٣١.
٦٧. المحتسب، المصدر السابق، ج ١، ص: ٣٤١.
٦٨. هود، الآية: ١٦.
٦٩. المحتسب، المصدر السابق، ج ١، ص: ٤٤٣.
٧٠. محمود احمد الصغير، المرجع السابق، ص: ٢٣٩.
٧١. النساء، الآية: ١٠٩.
٧٢. النور، الآية: ٧٢.
٧٣. الأعراف، الآية: ١٩٤.
٧٤. الأعراف، الآية: ١١.
٧٥. المحتسب، المصدر السابق، ج ١، ص: ٣٥١.
٧٦. النساء، الآية: ٧٨.
٧٧. المحتسب، المصدر السابق، ص: ٢٩٥.
٧٨. عمر بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط/د.ت، ج ٣، ص: ٦٥.
٧٩. النساء، الآية: ١٧٢.
٨٠. المحتسب، المصدر السابق، ج ١، ص: ٣١٠.
٨١. السامرائي، ابن جني النحوي، المرجع السابق، ص: ١٢٩.
٨٢. محمد أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، المرجع السابق، ص: ٢٤٧.